الفصـــل الثـــاني
الإطـــار النظرى للدراســـة

أولاً :- الاتجاهات النظرية المفسرة لبغاء الحدث:
1- التفسير البيولوجي (الاتجاة الوضعي) .
2- التفسير النفسي .
3- التفسير الاجتماعي.
ثانياً :- التطور التاريخي للبغاء
ثالثاً :- تطور الهوية الجنسية لدى الانثى

أولاً :الاتجاهات النظرية المفسرة لبغاء الحدث

1- التفسير البيولوجي (الاتجاة الوضعي) :

نادى **أرسطو** فيما قبل الميلاد بإمكان التعرف على الكثير من أخلاق الفرد وطباعه بدراسة سماته الجسمية، وخاصة تلك التي تميزه عن غيره من بني البشر، وقد امتدت هذه النظرة إلى علماء الغرب الذين حذوا حذو أرسـطو فيمـا يعـرف بالكهانه والعرافة والفراسة وفيما بين عامي 1741م و1828 م،إذ حاول الـبعض

تطبيق أصول علم الفراسة على بعض المجرمين ذاهبين إلى أن الجريمة ضعف خلقي يعود إلى خلل في النمو الطبيعي لأجزاء المخ والدماغ ، كما شبه بعضهم بين الجريمة والجنون، بحيث يرجع الإجرام في حالات كثيرة إلى عوامل فردية أو بيولوجية، ولذا فإن أنصار النظريات البيولوجية في تفسير السلوك الانحرافي والجنوح يرون في العامل البيولوجي بعد أساسي وحاسم في تشكيل الشخصية وتحديد السلوك، بحيث يصبح التكوين الجسماني أو الغامل الوراثي أساس لهذا التفسير. (غريب محمد السيد ، 1990 : 21)

والجدير بالذكر أن لمبروزو رائد الاتجاه البيولوجي في تفسير الجريمة يعد من أوائل الذين وجهوا الاهتمام إلى دراسة وتفسير جرائم النساء ، فقد حاول أن يطبق المفاهيم البيولوجية التي قال بها في نظريته على المرأة المجرمة فاتجه إلى دراسة المجرمات داخل السجون، وتبين له أن لديهن بعض مظاهر الشذوذ في شكل الجسم ، كما أن لهن خصائص فيزيقية تتشابه مع خصائص إنسان العصور القديمة.،كما لاحظ لمبروزو أيضا أن النساء المجرمات يمتلكن الكثير من الخصائص الذكرية، فشكل الوجه تظهر فيه صفات رجولية، كما إنهن أكثر وحشية وقسوة وفظاظة من الرجل ،ويتصفن بعدم الرحمة، بالإضافة إلى ما لديهن من قدرة شديدة على احتمال الألم البدني ، ولأنهن غير قادرات على أن يستشعرن الألم فإنهن متبلدات إزاء الآلام الآخرين ، ويذهب لمبروزو إلى أن التطور الفسيولوجي للمرأة مثل البلوغ والطمث والحمل وانقطاع الطمث في سن اليأس يؤثر بلاشك في إجرامها ، فلقد لاحظ تأخر ظهور الطمث لدى مرتكبات جرائم السرقة والبلوغ المبكر لدى العاهرات. (نجيبة إسحق ، 1988 : 37)

ويذهب أصحاب الاتجاه البيولوجي في تفسير البغاء إلى أن البغي قد أهلت في الواقع وأعدت سلفاً لهذا المستقبل الانحرافي عن طريق تكوين بيولوجي خاص

يميزها عن غيرها، وما الأحوال الاقتصادية أو الثقافية إلا مجرد مثيرات أو منبهات لهذا الاستعداد أو الميل التكويني الكامن .

(سامية الساعاتي ، 2005 : 220 - 221)

وعلى الرغم من الانتقادات الموجهة إلى النظرية البيولوجية إلا أنها نمت وترعرت في رحاب علم الإنسان "الأنثروبولوجيا الاجتماعية"، وهو العلم الذي يعني بدراسة الأجناس والسلالات ، للوقوف على الخصائص الثقافية وأنماط الحضارة في كل مجتمع أو جماعة،وقد تفرع علم الأنثروبولوجيا إلى فروع عديدة منها Criminal Anthropology، وهو فرع ينشأ حديثاً ويعني بدراسة التاريخ الطبيعي للمجرم انطلاقاً من تكوينه العضوي Anatomical، وقد نهض هذا العلم على جهود علمية تجريبية معملية لعينات من عتاة المجرمين ونزلاء المؤسسات العقابية ومن في حكمهم، لذا يطلق على هذه المدرسة اسم المدرسة الوضعية Positive School نظراً لاعتمادها على المنهج العلمي في دراسة الإنسان.

(حسن إسماعيل عبيد ، 1993 : 15)

1- التفسير النفسي :-

لقد ظهرت الاتجاهات النفسية في تفسير البغاء لتحل محل الاتجاه البيولوجي، الذي رأي البغي على أنها امرأة ذات طبيعة جنسية مفرطة، وترتبط التفسيرات النفسية للبغاء بوجه عام بالنظريات الفرويدية، وبالفرويدية الجديدة عن الجنس والتي شاعت خلال تلك الفترة ، ويقوم التفسير الفرويدي للبغاء أساساً على صراع الطفولة . (عبد الله عبد الغني غانم ، 1990 : 29)

هذا ويذهب جلوفر إلى أن اختيار المرأة للبغاء مهنة لها يتحدد ببواعث جنسية تكمن في الطفولة المبكرة.للبغي . (محمد عارف ، 1986 : 26)

ففي تتبعنا لتطور الحياة الجنسية لدى الإنسان وبلوغها شكلها التناسلي الناضج، وجدنا ثلاثة معالم مهمة تحدد بلوغ هذا الهدف ، هي :-

1- إن النشاط الجنسي يقف وسط بين دفعتي الحياة والموت للفرد ليحقق الفرد اتزاناً بين غريزتي الحياة والموت.

2- إن النشاط الجنسي التناسلي نقطة لقاء بين شق ليبيدي خالص وشق وجداني ذي أصل ليبيدي تحول إلى علاقة وجدانية. ففي ممارسة الجنس يطالب الشخص السوي بمتعة حسية من موضوع ليبيدي يرتبط به انفعالياً.

3- إن العلاقة الجنسية السوية بين الرجل والمرأة تقوم في شكلها الأساسي على رغبة الرجل في المرأة وموافقة المرأة للرجل في اختيارها. أما في مضمونها فإنها تنتهي ولا تبدأ بالمتعة من الجسد مباشرة.

ومن الغريب حقاً أن البغاء هو علاقة جنسية لا يحقق لها أي اتزان من هذه المعالم الثلاثة الأساسية ، فإذا تناولنا طبيعة المنح الجنسي للبغي وجدنا أنه لا يحقق لها أي اتزان بين نزعتي الحياة والموت فيها ، ويخرج عن وظيفته هذه ليؤدي وظيفة أخرى (كسب المال) التي يمكن تحقيقها بوسائل عدة. فالبغي ورغم ممارستها الجنس كوظيفة ، محرومة ، أو تحرم نفسها من النتاج النفسي لهذه الوظيفة.

فالجنس في البغاء يمارس بالبغي ولكنه يقوم ، لا لخدمتها النفسية ، بل لخدمة الآخر (العميل) لذلك لا يعد الجنس في البغاء ذا وظيفة نفسية وعلى الأقل بالنسبة للبغي بل يتحول إلى مهنة.

ويمكننا أن نزيد الأمر إيضاحاً يتناول الفكرة ذاتها من زاوية أخرى. إن المرأة السوية ترضى بالمتعة الجنسية لحاجتها إلى الإشباع وتمنح نظير متعتها أما البغي فترضى بالمتعة الجنسية للعميل ولا ترضاها لنفسها.

وإذا انتقلنا إلى علاقة الجانب الجنسي الحسي بالجانب الوجداني للجنس يتبين أن البغاء فعل يلزم البغي بعدم إيجاد صلة بين الجانبين. فممارسة الجنس دون تمييز بين الممارس معهم يحول دون انتقاء الموضوع الجنسي. فانتقاء الموضوع الجنسي يعني شحنة ليبيدياً والارتباط المستمر به وجدانياً وقد أوضح فرويد أن

الحب قد يكون أصلاً ذا طابع حسي فينتهي بمجرد خفض التوتر الجنسي ولكن استمرار التعلق الليبيدي يجعل الرغبة الحسية تتجه دائماً نحو نفس الموضوع ، فمن الناحية العلمية فالبغاء لا يتماشى مع التعلق الوجداني بالموضوع الجنسي مع متطلبات البغاء كمهنة. (أحمد فائق ، 2001 : 384 - 385)

الأمر الذى يدفعنا لأن نتطرق إلى مراحل النمو النفسي الجنسي حتى نتبين كيف تتم وتتفاعل العمليات النفسية لدى الفرد ؟ ، و كيف تؤدي إلى أنواع مختلفة من السلوك يوصف بعضه بأنه سوى ، و بعضة الاخر بأنه غير سوى.

مراحل النمو النفسي الجنسي : Psychosexual Development

يصل الطفل إلى العالم مخلوق ضعيف لا يملك من مقومات حياته سوى أجهزة بدنية في حاجة دائمة إلى النمو والعناية والتدريب، وهو بجانب ذلك يملك كما يملك البالغ الكبير بعض الدوافع أو الحوافز الداخلية التي تدفع به إلى العمل، بحيث تصبح جميع أنواع سلوكه استجابة لهذه الدوافع التي ترجع إلى تكوينه البيولوجي، والتي تظهر في الحاجات المختلفة للأنسجة كالحاجة للطعام والماء والأكسجين وغيرها من الحاجات الوقائية ضد الأخطار الضارة بكيانه، وعدم إشباع هذه الحاجات يخلق حالة مؤلمة من التوتر، وعدم الشعور بالتوازن والأمن ، وتزداد هذه الحالة كلما اشتد إلحاح الدوافع وزاد ضغطها، وتظل كذلك حتى يتم الإشباع، أو يجد الكائن لنفسه طريقاً للتخفف من هذا التوتر، واستعادة التوازن.

(مبعد مغربي ، 1960: 81)

1- المرحلة الفمية: Oral Stage

عندما تبدأ حياة الوليد يكون جهازه العصبي والحركي من الفجاجة بحيث لا يكفلان له حرية التعامل مع الواقع، ونقصد بواقع الطفل في تلك السن ما يقع على حواسه من تأثيره، لا يفرق بينه وبين ما يأتيه من الخارج، أو ما تثتثيره أعضاؤه

الحشوية ذاتها ، ولعل أجل ما يقع على حواس الطفل من تأثير هو ألم الجوع، فألم الجوع في الأيام الأولى يحتل مصدر الصدارة لكونه أكثر المشاعر تكراراً، ولكونه الوحيد تقريباً، ولعل أهم ما يميز ألم الجوع في تلك السن هو أنه يأخذ صفة الخطر الخارجي ، وقد تناولت **كلاين Klein** تلك النقطة تناولا مباشرا من زاوية ما يقابل العالم الخارجي لدى الطفل ، أو ما نسميه بالعالم الداخلي بأنه يتكون من الموضوعات، وأولها الأم التي يبتلعها الطفل بطرق متباينة في المواقف الانفعالية، ويعيش الطفل في خياله عالم إما طيب لو سيئ ، وإحساسه بالطيب هو إحساسه بالذات وإحساسه بالآخر، فالأم الطيبة التي يستدمجها الطفل لتكون له عالمه الداخلي تصبح صورة الذات ، وأي إحساس شخصي يمارسه الطفل في خلده ، فإذا ما أحس بجوع واستجابت أمه لذلك بإشباعه، أسقط عليها شعور بالطيبة والحسن ليخلقها من جديد في كل مرة وعلى صورة ذاته ، فإدراك الطفل لذاته يقوم أولاً على استدماج الآخر حيث يكون ذلك الاستدماج بداية لشعور ما، فإذا ما ساءت ثقة الطفل في أن مصدر الإشباع لن يعطيه مسافة يخلق أمه بوصفها حارمته ما يريد.

(أحمد فائق ، 2001 : 192- 194)

والمرحلة الفمية ينبغي ربطها بمشكلة الإدراك الحسي ونمو الوعي بالعالم الخارجي متمايز عن الذات، فيميل الأطفال لأن يكتشفوا ويبتلعوا الأشياء عن طريق الفم، فمنذ الشهور الأولى يسير الحب والتخريب جنباً إلى جنب، وتكون الاستجابة البدائية للإدراك الحسي للعالم الخارجي هو ابتلاعه وجعله جزءا من الذات ، ويكون اتجاه الطفل في المرحلة الفمية المبكرة سلبيا متقبلاً، وعندما تبدأ الأسنان في الظهور ويسمح النضج العام للجهاز العصبي بتحكم أكثر في منبهات يدخل الطفل المرحلة الفمية السادية.

(عزت إسماعيل ، عبد الله غلوم ، منشور بدون تاريخ : 38)

ومن ثم فإنه إذا كانت الأم جارمة الطفل ما يريد ، غير مشبعة لحاجاته ورغباته فإنه في المرحلة الفمية السادية سوف يتجة نحوها بقدر كبير من العدوان ، أما إذا كانت الأم مشبعة لرغبات طفلها تعطيه ما يريد من طعام وحب ويوجد توازن بينهما فإنة سيتجة نحوها في المرحلة الفمية السادية بقدر كبير من الحب ، أما إذا كانت علاقة الأم بوليدها في تلك الفترة تتراوح ما بين الحرمان والاشباع تصبح الأم موضوعاً لكل من إتجاهات الحب و العدوان ، وهذا ما أطلق عليه فرويد Freud الثنائية الوجدانية **ambivalence** ، ويكون المحور الأساسي في المرحلة الفمية السادية هو الفم، وأسلوب التعامل هو الإدماج التدميرى بالأسنان لموضوع الحب (تناقض عاطفي) ، وفي هذه المرحلة يمكن القول بأن جميع عمليات الطفل الحسية والحركية تعض على العالم الخارجي ، وتنتزع منه لتحتفظ بما تنتزعه، وهذه السادية تجد ما يدعمها في التوترات الناشئة عن التسنين، وفي الإحباطات الناشئة عن الفطام، وفي الصراعات المتصلة بتحقيق الرضاعة دون عض ، وتعمل مشاعر النقمة على الأم وأحاسيس الغضب الكظيم العاجز على دخول المازوشية إلى المسرح إلى جانب السادية وتتميز هذه المرحلة إذن بتناقص العاطفة 0 (سامية القطان ، 1979 : 143)

وفضلاً عن ذلك فلا ينبغي أن يغيب عنا أن الادماج ليس بتدميري إلا بشكل ثانوي ، فطبيعتة التدميرية الموضوعية تخدم أغراضا ذاتية ، فالنزعات العدوانية الأولى إزاء الموضوعات التي تجلب ألما أو تمنع لذة ليس قوامها بلع الموضوعات بل بصقها خارجا، وما يزال محل جدال ما إن كان نفس الموضوع الذي جلب الإشباع مرة ثم منعه بعد ذلك يمكن أن تتعرف علية الأنا الأولية على أنه موضوع واحد ، والأرجح أنه يوجد في البداية تصوران مختلفان لموضوع حسن يرغب الكائن في امتلاكه بالابتلاع ثم بعد ذلك فقط يرغب في تدميره بالابتلاع .

(أوتوفنيخيل ، ج1 1969: 103)

فإذا كانت الأم مشبعة لحاجات طفلها فإن ذلك سيخلق في نفسه إحساساً بالاطمئنان والثقة في أن الجوع سيتلوه إشباع ، أما إذا كانت الأم غير مشبعة لحاجات طفلها غير مبالية بندائه فإن ذلك يخلق في نفس الطفل حالة مؤلمة من الحرمان وتسوء الثقة في مصدر الاشباع ، ومن ثم فإنه يعيش في خياله عالماً مكفهراً وضاراً وعلى شاكلة الموقف المتأزم ستأخذ الذات صورتها في المراحل التالية .

2- المرحلة الشرجية : anal stage

في هذة المرحلة يدرك الطفل ما لعملية التبرز والتبول من أهمية تبدو على أمه كلما قام بفعل أى منها ، إضافة إلى مشاعر مشوبة باللذة أو الألم نتيجة لتجمع الفضلات في خارجه، ويدخل في نطاق تعارض مشاعر اللذة مع رضاء الآخر واتفاق الألم مع هذا الإرضاء، ويتكون من جراء ذلك موقف رباعي يشق على ذاته أن تتفهمها ممسكة بالأطراف جميعاً ، إلا أن ما اكتسبه في المرحلة الفمية من استمرار لنواة الذات والعلاقة بالآخر يعينه على عدم الفرار من الموقف المشكل ، فلقد تكونت لدى الطفل في تلك المرحلة علاقة مع موضوعات جعلته يتعين فيها أولاً بصورتها الحسنة أو الرديئة،ثم أمكنه أن يتعين بها، ليكتسب إحساسا بالحسن أو الرداءة ، فإذا ما أدرك ما للمرحلة الشرجية، وقيمه الإفرازات استغل الإحساس بالحس ليعين به إفرازه باعتباره جزء من الذات مبدلاً إياه بالفم كوسيط للعلاقة بالأم0 (أحمد فائق ، 2001 : 205 – 206)

وبما أن المتعة تشتق من إخراج البراز والألم يشتق من الإبقاء عليه ، يمكن للباحثة التوصل إلى إستنتاج مؤداه أن تأجيل اللذة ، ثم الإشباع يرتبط بما قد يبدو على وجة الأم كلما قام بفعل أى منها ، فالأم المتفهمة لعجز طفلها والمشجعة على إطلاق برازه تساعده على التخلص من التوترات المصاحبة للإبقاء، مما يجعله فيما بعد شخصا قادراً على الإنتاج والعطاء بسخاء ، أما الأم الغير قادرة على تفهم عجز طفلها، وتستخدم أساليبا قاسية في تدريب طفلها على النظافة فإن ذلك يجعله

فيما بعد شخص غير قادر على الحب و الإنتاج ، بينما يعمل دائماً على إبقاء مشاعره بداخله ، خشية أن تتعارض هذه الرغبات مع رضاء الآخر مثلما كان يفعل فيما مضى .

3- المرحلة القضيبية : phallic stage

إن أول شعور يخبره الطفل بعد تخليه عن ترجسيته وتوجيه حبه إلى الموضوع هو شعوره بالغيرة من ذلك الموضوع، ويعود شعوره هذا إلى إدراك أن أمه تمتلك من المميزات والإمكانيات بما فيها ذاته، مما يثير إعجابه بها، ووده لها لو كان له مثلها أو اقتناها هي ليصبح موضوع إعجاب ، و في أثناء ذلك الاهتمام بالأم ، وبما تمتلك ينتبه الطفل إلى الأب بوصفه شخص يمتلك مزايا وإمكانيات تكافئ إن لم تكن تفوق ما لدى الأم،ولن عليه كي يحصل على الأم أن يناض الأب عليها ولن يستخلصها لنفسه منه . (أحمد فائق ، 2001 : 216 - 218)

فإذا كان الثبات الظلمي على أمه يشكل بالفعل شرط لتصفية الأوديب فعلى الصبي أيضاً أن يتخلى عن كل موقف إغرائي تجاه المناض - الأب ، وقد يحدث أن تلقى عقده أوديب انعكاساً ، ولن يصبح الأب بعد نوع من التأنيث موضوعاً تنتظر ميوله الجنسية الإرضاء ، وفي هذه الحالة يشكل التماهي بالأب مرحلة أولية يجعل الأب موضوعا جنسياً... ومن السهل التعبير عن هذا الاختلاف بين التماهي بالأب ، والتعلق بالأب كموضوع جنسي بالصيغة التالية: في البدء الأب هو ما نريد أن نكون ، وفي الحالة الثانية هو ما نريد أن نمتلك ، إن عقدة أوديب يمكن اعتبارها هي المؤسسة للحياة النفسية، ولكن أيضاً النقطة العقدية التي تترتب حولها العلاقات التي تبنى العائلة . (فيكتور سميرنوف ، 1982 : 193)

بمعنى آخر يتجه الطفل إلى أمه ولكن بقضيبه، يريد أن يخترقها، ويريد أن تكون له وحده دون شريك، وهنا يحدث تناقض وجداني تجاة الأب فهو يحبه و لكنه في نفس الوقت يكرهه كمناض له في الأم، وعندما يدرك الفرق بين الجنسين ،

يشعر بالخوف على قضيبه، ويخشى أن ينزل به نفس العقاب الذي نزل بأخته – أى الخصاء – كعقوبة على رغبتة في العدوان على أمه بالقضيب، و انقاذا لقضيبه من الخصاء يتنازل عن أمه متجها بحب زائف و سلبية مفتعلة إلى أبيه يتوحد معه، فيأخذ عنة قيمه و اتجاهاته، و ينتج عن هذا الاستدخال نشأة الانا العليا .
(سامية القطان ،1979: 145 – 148)

أما إذا انتقلنا إلى تطور الشعور بالذات لدى الطفلة الأنثى وجدنا الأمر مختلفا، فبينما كان وصف **فرويد Freud** للنمو النفسي الجنسي لدى الذكور مقبول بشكل كبير ، فإن وصفه للنمو الجنسي لدى الإناث أثار العديد من الشكوك والخلافات 0
(Lester H – Friedman, 1985: 569)

ويعتقد فرويد أن البنات لا يحلون عقدة أوديب بطريقة الأولاد لأنهن ليس لديهن خوف شديد من الإخصاء الذي يدفع الأولاد إلى حل أسرع ومحدد كامل وعن طريق التوحد بالأب، فبالنسبة للبنت يرى فرويد أن الإخصاء قد تم بالفعل لذلك فإنه لا يوجد تهديداً حاليا أو مستقبلاً و لكنه أمر واقع .
(روبرت دي ناي ، 2001 : 63)
إن الحل السوي لعقدة أوديب الأنثوية تتمثل فى أن تتخلى عن تعلقها الليبيدي بالأب وتتجه إلى الأم لتتخذ منها مثلا يحتذى به لتقلدها، وتتخلى عن رغبتها في القضيب لتحل محله رغبة اخرى، وهى أن تحصل على الأولاد من حامل القضيب كبديل تعويضي عن عدم الحصول على القضيب .

لكن إخفاق التسوية القضيبية لا يؤدي دائما إلى الجنوح دون غيره، إذ الأعصاب النفسية أيضا قد تنجم عنه،فلماذا كان الأمر كذلك ؟، لماذا كان هذا الإخفاق يؤدى إلى العصاب؟، و يؤدي أخر إلى الجنوح ؟، وماهو العامل أو الشرط الأساسي الذي يحدد هذا الافتراق ؟ ، ثم إذ آل الفرد إلى الجنوح فلماذا كانت هناك جرائم يلتمس أصحابها من ورائها العقاب ؟ ، وكذلك هناك أخرى يذهب مرتكبوها

إلى حد إقامة العدل ؟، لماذا كانت هناك جرائم هي المسماة جرائم الأنا العليا؟، و أخرى هي جرائم الانا ؟، هذه بعض الأسئلة التى لا تزال تشغل إهتمـــام المحللـين النفسين . (مصطفى صفوان ، 2007 : 88)

الموقف الأوديبي من وجهات نظر متعددة :-

(1) إسهامات كلاين Klein :-

" معظم مدارس التحليل النفسي تقتفي أثر الأعمـــال الفرويديـــة فـــي تحديـــد مصادرها،إلا أننا نجد أراء **كلاين** Klein العيادية متباينة إلى حـــد مـــا عـــن أراء **فرويد** Freud ، فلقد قدم **فرويد** الموقف الأوديبي المبكر كعامل أولي لاشعوري في حالة رجل الذئاب، والذي كبت المشهد الأول الذي شاهده في سن 19 شهر، ذلـــك المشهد هو العلاقة الجنسية بين أمه وأبيه ، والذي أدركه بوصفه فعلا عدائيا، والذي أصبح مرتبطا بالاتجاهات السادية Sadism في حياة رجل الذئاب.

هذا ولقد تأثرت كلاين بفكرة المشهد الأول وذلك في تحليلها لحالـــة إرنـــا والتي كانت تبلغ من العمر 6 سنوات ، ومثلما لاحظ فرويد في تحليله لحالة رجـــل الذئاب ، نجد كلاين تشير إلى أن مشاعر البغضاء لدى إرنا كانت نتيجة لمشاهدتها العلاقة الجنسية بين والديها ، ومن ناحية أخرى فقد وجدت كلاين إن مشاعر إرنـــا الشريرة ترجع إلى الحسد الفمي للأعضاء التناسلية ، والإرضاء الفمي التي كانـــت تعتقد أن والديها يستمتعون به خلال لقاءاتهم، ومن ثم يمكننا القول بـــأن مـــشاعر البغضاء لدى إرنا تعد استجابة حسودة للمشاعر الناجمة عن تخييل المـــشهد الأول بشأن الاتصالات اللانهائية للوالدين، فلقد كانت مشاعر البغضاء لدى إرنـــا نتيجـــة مترتبة لما قد تعرضت له من فقدان وإهمال وحرمان من قبل الوالدين،إذ أدركـــت كلاين مدى ارتباط بداية الصراع الأوديبي Oedipus Conflict بصعوبات الفقدان الأولى للموضوع، مما دفعها إلى تقديم فهمها عن بزوغ المخاوف الاكتئابية المبكرة مع بداية الوضع الاكتئابي Depressive situation ، إن الحقيقة الأكثر أهمية في

حدود علاقة الطفل بالموضوع هي قبول الأم كوجود منفصل عن الطفل، هذا بالإضافة إلى نمو الوعي بوجود علاقة بين الأم والأب تلك التي يستثنى منها الطفل أن مثل هذه الخبرة بالعلاقة الوالدية يستدخلها Internalization الطفل، وهذا ما أطلقت عليه كلاين التوحد معع النموذج الوالدي Combined with parental figure، والذي يمكن الشعور من خلالها أنهما زوجان مبدعان أو زوجان خطران يميلان إلى تعذيبه، ومن ثم فإن كلاين تؤكد على أنه مع بداية النصف الثاني من السنة الأولى من عمر الطفل فإنه يتقدم إلى عالم ثلاثي ، وبالتالي فإن علاقة الطفل المبكرة بالموضوع الجزئي Part object تكون في مقابل قضيب الأب ، وهذه العلاقة تتأثر مباشرة بثدى الأم ، فإذا كانت تلك العلاقة مشبعة فإن الإشباع يدفع الطفل أو الطفلة للبحث عن الأب مع وجود تخييل أن الراحة الشهوية التي كان يجدها في ثدي الأم سوف تتحقق من خلال علاقته أو علاقتها بقضيب الأب0 ، ومع ذلك فإن بداية العلاقة بالأم تكون على قدر عالي من الصراع، ومن الممكن أن يسعى الطفل للحصول على الإشباع من الأب ، والذي يتعارض قضيبه مع تخييلات أمثلة الثدي، ومن ثم فإن وصول الطفل إلى العقدة الأوديبية مع بداية الوضع الاكتئابي Depressive situation، واكتشاف خطر الانفصال عن الأم وارتباطها بالأب مما قد يثير في نفس الطفل الأسى والحزن".

(Lawrene j – Brown, 2002: 237 – 239)

" إن خبرات الإشباع والإحباط المتكررة تعد بمثابة مثير قوي للدفعات التدميرية والليبدية للحب والكراهية ، .وبقدر ما كان الثدي مشبعاً يكون محبوباً وجيدا، وبقدر ما كان مصدراً للإحباط يكون مكروها وسيئا، وينبع هذا التناقض بين الثدي الجيد والثدي السيئ عن عدم تكامل الأنا، ومن عمليات إنشطار الموضوع في الأنا، بالإضافة إلى خبرات الإشباع والإحباط التي تنتج عن عوامل خارجية تساهم في عمليات نفسية داخلية مثل الاستدماج والإسقاط في العلاقة الثنائية بالموضوع الأول ، فالطفل يسقط دفعات الحب على الثدي المشبع (الجيد) ، كما يسقط الدفعات

التدميرية خارجيا على الثدي المحبط (السيئ)، ويعد اجتماع مشاعر الحب والدفعات التدميرية تجاه موضوع واحد – الثدي – من الأسباب التي تزيد من حصر الاكتئاب والإحساس بالذنب تجاه الموضوع المحبوب، وهذا يعني أن الثنائية الوجدانية تتجه في بعض الأحيان إلى الموضوع الجزئي (ثدي الأم)، وخلال الشهور القليلة الأولى من الحياة تكون حالات التكامل قصيرة المدى، وقدرة الأنا لا تزال محدودة لإنجاز عملية التكامل هذه، وفي ذلك تتدخل قوة حصر الاضطهاد، وعمليات الانشطار التي تكون في ذروتها، ويتقدم عملية التكامل للانفعالات المتضادة تجاه الموضوع في إمكان الليبيدو تخفيف الدفعات التدميرية، وذلك يؤدي إلى النقصان الفعلي للحصر، مما يعد شرط أساسي للنمو السوي".

(منار سليمان عبد الماجد ، 1999 : 40 – 43)

" إن ظهور الوضع الاكتئابي ينبغي أن يتضمن التسليم بوجود الموضوع المهيمن Object sovereign ، باختصار فلقد قدمت كلاين بدقة الربط بين الظهور المبكر للعلاقة الثلاثية وموقف الحرمان بالنسبة للطفل الصغير ، هذا ولقد أشارت كلاين إلى أن عملية الفطام لا تثير فقط مشاعر الفقدان والحرمان، ولكن كذلك استثارة تخيلات إشباع للعلاقة بين أمه وأبوه، تلك التي يستثنى منها الطفل، فلقد أكدت كلاين على أهمية عملية الانفصال عن الأم، وذلك عندما قدمت الوضع الاكتئابي ، حيث أن الوعي بعملية الانفصال يرتبط بإدراك العلاقة القائمة بين الأم والأب.

(2) الدراسات النشوئية : Developmental study

لقد أثار كل من بيرجمان **Bergman** ، باين Pine ، مـاهلر **Mahler** إلى أهمية الأب كآخر موجهة غير مفسد يساعد الطفل على التحول إلـى مرحلـة الانفصال ، وذلك من خلال ظهور الأب في العلاقة الثلاثية.

هذا وقد أكد هيرزوج **Herzog** على أن هناك نوعين من النزعات والتي تبدأ في الظهور في العام الأول.

1- النزعة للتكامل البدني: تعزى هذه النزعة للنموذج الأمومي، وتتـضمن هـذه النزعة التفاعلات العاطفية ، ويكون ذلك متوازياً مـع بدايـة ظهور العاطفة لدى الطفل.

2- النزعة إلى التمزيق: تعزي هذه النزعة إلى النموذج الأبوي ، ويظهـر نـوع جديد من التفاعلات التي تستثير في نفس الطفل عناصر جديدة.

(حيث أن الطفل أو الطفلة في سبيله لامتلاك الأم تكون لديه رغبة لاستبعاد الأب والتخلص منه ، وتكون لديه أو لديها نزعة لتمزيق قـضيب الأب الأكبـر ، وذلك على اعتبار أن الفتاة تتجه في البداية نحو الأم على اعتبار أنها تمتلك قضيب صغير، وذلك قبل أن تتكشف الفروق التشريحية بين الجنسين).

هذا وقد افترضت كل من شامبرا **Shampra** وأبريشت **Upprecht** وجود حاجة ولادية لنوع خاص من العلاقة الثلاثية، تلك التي لا تشتمل علـى الأب فـي البداية، حيث أن الأم تضع نفسها كحضور ثالث بين الطفل ودوافعه، وإذا لم تتمكن الأم من تحقيق ذلك فإنه من المحتمل أن يدعي الأب عندئذ كطرف ثالث فعلى حتى يتولى أمر هذه الوظيفة بالنسبة للطفل ، إن مثل هذه الحاجة لإيجاد نموذج ثالث قد يدفع الطفل إلى إيجاده بالقوة ، ويؤكد روبريش **Rupprech** على عبارة إيجـاده بالقوة ليؤكد على الحاجة المتأصلة في الطفل الصغير لمثل هذا الموقف الثلاثي".
(Lewrene J. Brown, 2002: 280-286)

(3) وجهات النظر الاجتماعية والبيولوجية :-

Social and biological views

" تكشف الأبحاث الاجتماعية والبيولوجية والتحليلية النفسية التي أجريت على إتيان المحارم Incest عن وجود وجوه اختلاف، وذلك عند مقابلة العقدة الأوديبية عند فرويد بفروض ويستر مارك **Wister mark** ، فلقد أشار ويستر مارك إلى أن الطفل الذي ينشأ في إطار حميم من الارتباط فإن ذلك يثير في نفسه كره ونفور لإقامة علاقة جنسية مع أي هؤلاء الأشخاص في مرحلة الرشد. ، هذا ونجد أن الكتابات البيولوجية والاجتماعية تتكر صحة نظرية فرويد **Freud** وذلك فيما يتعلق بالرغبات الجنسية الموجهة نحو المحارم في مرحلة جد مبكرة من العمر، ولم يكن غريبا على فرويد أن يتعرض لمثل هذه المسألة الخلافية، فلقد كانت نظريته عن العقدة الأوديبية ضمن هذه الأمور الجدلية الخلافية التي كانت تغلف فكرته عن الجنسية الطفلية Infantile sexuality والصراع اللاشعوري ، لقد كانت عقدة أوديب نواة للنمو النفس الجنسي وتكوين الأعصبة. ،وتعتقد مثل هذه الانتقادات الموجهة إلى التحليل النفسي بضعف مكانته النظرية وذلك نتيجة لغياب الدليل الأمبريقي (التجريبي) والصدق العلمي، هذا بالإضافة إلى أن هذه الانتقادات تلوم فرويد على إخفاق مزاعمه عن تخيلات الإغواء الجنسي، فبالرغم من أن فرويد تعامل مع مثل هذه التقارير التي يسردها المرضى على علتها (الاغواءات) إلا أنه اكتشف فيما بعد أن مثل هذه التخييلات ترجع إلى رغبات جنسية لاشعورية محرمة تجاه الأقارب لم تتحقق بعد ، هذا ويعترف أصحاب النظرية الاجتماعية البيولوجية أن علمهم يعد محاولة مبكرة لتحديد سبب اهتمام نظريات علم النفس بالغريزة Instinct، هذا ولم يؤكد فرويد على أن الدوافع الجنسية للطفلية تكون موجهة منذ البداية نحو الموضوعات المحرمة ، حيث أن الغريزة الجنسية لا تكون موجهة منذ البداية تجاه موضوع محدد، فالدوافع الجنسية البدائية تكون موجهة نحو استثارة اللذة من المناطق الحسية بداية بمسار الشفاه خلال عملية الرضاعة مروراً بالشرج خلال التدريب على النظافة وصولاً إلى المنطقة التناسلية وذلك خلال عملية التبول

والتلاعب بالأعضاء التناسلية ، إن محاولة إيجاد موضوع للرغبة الجنسية يبدأ في الطفولة الباكرة، ولكنه يكتمل في المرحلة الأوديبية، وأي شخص يستثير انتباه الطفل يصبح هدف لانهائي للاستثارة والإشباع الجنسي ، حيث أن هذا الشخص يكون له علاقة مباشرة بالطفل، ويكون بينهم وبينه صلة دم ، وعلى وجه الخصوص الأم أو الأخت، ويصبحون موضوع للرغبة الجنسية. ، ولم يقتنع أنصار **ويسترمارك** بوصف للموقف الأوديبي في الطفولة الباكرة، وما يترتب على ذلك من توجيه دوافع النشاط الجنسي نحو الموضوعات المحرمة، وعوضا عن ذلك فلقد أكدوا على فروض **مارك** القائلة بأنه لدى كل من بني البشر والحيوان كرة فطري للاتصال الجنسي بالمحارم، ذلك الموضوع الذي يفجر من خلال الارتباط الحميمي في مرحلة الطفولة ، وترى نظرية علم الاجتماع البيولوجي أن اعتزام اختيار الرفيق تكون موجودة أكثر لدى الحيوانات ، وأن النشاط الجنسي الموجه نحو الوالدين في مرحلة ما يعمل كنموذج يساعده على اختيار الرفيق الجنسي فيما بعد.

معنى ذلك أن نظرية علم الاجتماع البيولوجي تعد متوازية مع نظرية التطور الأوديبي ، وذلك فيما يتعلق بأن الخبرات الوالدين المبكرة تسهم في تشكيل النموذج الذي سوف يتم على غراره اختيار الشريك الجنسي والعلاقات العائلية ، وذلك في مرحلة لاحقة 0

ويرى **فيربيرن Ferbirn** أن الشئ الجديد في الموقف الأوديبي هو الانتقال من مستوى العلاقة الثنائية إلى مستوى العلاقة الثلاثية ، وأن مثل هذا الانتقال من الممكن أن يتضمن زيادة الوعي بالرغبة الجنسية.

ولقد حاول **كوهوت Kohet** أن يميز بين عقدة أوديب التطورية ، وعقدة أوديب المرضية ، فمن خلال حضور أبوين ملائمين فإن ذلك يعكس موقف أوديبي يخبر من خلاله الطفل العطف والقبول وذلك من قبل الموضوع الأمومي ، مما يشير إلى نجاح عملية التعاطف ، أما في حالة فشل عملية التعاطف فإن ذلك ينجم

عنه عقدة أوديبية مرضية وفي هذه الحالة يتحول الحب اللاجنسي إلى صورة من النشاط الجنسي الفادح". (Daniel Morehead, 1999: 347 – 350)

" وكما أشرنا سابقاً فإن وصف فرويد للنمو النفسي الجنسي لدى الإناث أثار العديد من الشكوك والخلافات ، هذا بالإضافة إلى تعاقب حسد القضيب Penis envy ، وحصر الخصاء في دخول الفتاة العقدة الأوديبية، والتحول من البظر إلى المهبل ، ودور الإحساسات المهبلية السابقة على مرحلة البلوغ، ومن جانب آخر فإن هناك بعض الشكوك وذلك فيما يتعلق بأهمية تخيلات الضرب Beating fantasy في النمو النفسي لدى الفتيات".
(Lester H. Friedman, 1985: 570 – 571)

" هانحن نجد أنفسنا أمام الأخيولة الأنثوية الشهيرة التي خصص لها فرويد كل مقالة المعنون "ضرب الطفل"، ومعلوم أن فرويد يدرس في هذا المقال عن طريق تحليل حالات من النساء بصفة خاصة والأخيولة الطفلية الشائعة،حيث تخيلت البنت الصغيرة أولاً أنها ترى طفلاً أخر غير محدد الهوية ، وهو يعاني الضرب، الأمر الذي كان يرضى غيرتها من أخ أو أخت منافسين، ثم أحلت نفسها محل الغريم فتخيلت إنها هي التي تعاني الضرب ، وأن الأب هو الذي يضربها، هذه الأخيولة الأخيرة هي التي كان يصاحبها الاستمناء في الطفولة.

إن الحلقة الثانية من الأخيولة وتعني الأخيولة المركزية الوسطى: إني مضروب من الأب ،وهي المشتركة بين الجنسين بنفس الصورة، فقد ظلت في أغلب الأحوال لاشعورية بفعل تثبيت وشعور بالإثم سلبيين مسرفي الشدة، التحليل وحده هو الذي أتاح بطريقة لا تدع مجال للشك الكشف عن هذه الأخيولة المركزية." (ماري بونابرت ، 1969 : 179 – 180)

" لقد استخدم فرويد **Freud** اصطلاح تخييل الضرب beating fantasy ،وذلك لإيضاح الدوافع الكامنة وراءه، وما يتبع ذلك من تحولات نفسية تلك التي

نادرا ما تم تناولها بشكل حاسم في الكتابات التحليلية،ويعد هذا الأمر مثيرا، حيث أن تخيلات الضرب تكون موجودة في حياة كل شخص دون استثناء ، هذا بالإضافة إلى الدور الذي تلعبه تخيلات الضرب في تشكيل الأنا الأعلى super ego لدى الإناث ، ولقد وصف فرويد ثلاثة مظاهر لتخيلات الضرب:

1- **المظهر الأول** : بداية تخييل الضرب Beating fantasy وهو يعتمد أكثر على المحتوى الشعوري.

2- **المظهر الثاني** : يعتمد هذا المظهر بدرجة أكبر على مشاعر الذنب المرتبطة بالرغبات الجنسية المحرمة المتجه نحو الأب ، وهكذا فإن فعل الاتصال الجنسي يخبر من خلال التخييل (أنا أصبحت مضروبة بواسطة أبي) وهكذا فإن الفتاة تخضع مازوخيتها لسادية الأب.

3- **المظهر الثالث:** في هذه المرحلة يكون تخييل الضرب متضمن على :

أ- الحب.

ب- التمزيق للأعضاء التناسلية.

ويكون ذلك متزامن مع العقاب على الرغبات الجنسية المحرمة الموجه نحو المحارم.

ومن ثم يمكننا التوصل إلى استنتاج مؤداه : إن أهمية تخيلات الضرب تكمن في كل من الصراعات الأوديبية الموجبة والعقاب على الرغبات الجنسية المحرمة.

هذا ويقترح **ماير Mayer** أن مخاوف الخصاء لدى الإناث تحدث من خلال اقتران مشاعر الذنب بالرغبات الجنسية المحرمة، وخصوصاً العقاب المروع على الرغبات الجنسية الأوديبية الموجه بشكل مباشر نحو الأب ، إن وظيفة مثل هذه التخيلات لدى الإنثى هي تعيين الأم في موضع المعاقب على الدراما الأوديبية، يعد ذلك مكافئ لوظيفة التخييلات ومن ثم فإن مخاوف الخصاء لدى كل من الجنسين تعد مثيرة ومحفزة للتوحد Identification أما لتحريمات الوالدية وقمع الرغبات

الأوديبية، وما يتبع ذلك من تشكيل الأنا الأعلى، فالأم تشكل قانون الأوديب Oedipus law لدى الفتاة، على حين أن الأب يقوم بنفس الأمر لدى الذكر.

إن توحد الفتاة بالأم خلال المرحلة الأوديبية يأخذ سبيلين:

1- الإحساس بالذنب يجعلها تتوحد بمظاهر العدوان الحقيقية والمتخيلة لدى الأم، أو بأي رجل أخر يشبه الأب، ويكون لذلك أهمية، وذلك فيما يتعلق بالمظاهر الأنثوية لدى الأم ،وذلك عندما تدرك الأم كإمرأة ظافرة أو منتصرة.

2- التوحد مع الأم العدوانية القائمة بفعل الخصاء ، ويصبح ذلك أحد مظاهر الأنا العليا فيما بعد.

إن دور التخيل الذي يلعب بواسطة الأم العدوانية المعاقبة يتلاءم مع مدى تخيل الفتاة لنفسها على أنها المنتصرة أوديبياً ،هذا بالإضافة إلى أنها تخبر الأب على أنه مشترك بشكل أو بأخر في تخيلاتها ورغبتها اللاشعورية المحرمة، وفي مثل هذه الحالة فإن استدماج الأم المعاقبة يشكل النواة الأخلاقية للأنا الأعلى لدى الفتاة". (Puthf – Lax, without year: 455 – 467)

"وفي هذه الحالة (استدماج الأم المعاقبة) فإنها تشكل النواة الأخلاقية للأنا الأعلى، الأمر الذي يدفعها إلى ارتكاب الأخطاء من أجل أن تستشعر العقاب مرة أخرى.

هذا وقد استنتج **رليمان Rleeman** أن **فرويد** يكرر دوماً تأكيده على أن بعض الإناث يقلعن عن الاستمناء الذكري بالبظر ، ويتحولن إلى الأنوثة، وذلك تحت تأثير صدمة قلق الخصاء، وما يتبع ذلك من إحساس بالدونية Inferiority ، ويستطرد **رليمان** قائلاً: إن كل من حسد القضيب وعقدة الخصاء يلعبان دور جوهري في بلوغ الفتيات المرحلة الأوديبية ، أما فيما يتعلق بالتحول من البظر إلى المهبل لا يتحقق عند فرويد إلا قبل بلوغ مرحلة المراهقة، إن إقلاع الفتيات الصغيرات عن الرغبة في القضيب واستبدالها بالرغبة في الأطفال سيدفعها إلى تغيير موضوعها الجنسي، وذلك قبل بلوغها العقدة الأوديبية السوية .

لقد كانت استبصارات فرويد عن العقدة الأوديبية تتسم بالعمومية حيث أنها اشتملت على سيكولوجية الإناث، حيث أنهن كن يتشابهن مع الذكور في الموقف الثلاثي ، والذي يفترض أن الأنثى تحب أبيها وتتنافس مع أمها وتظهر لديها رغبة في التخلص منها، ومع ذلك فإن العلاقة الثلاثية لدى الإناث ليست مجرد انعكاس مرأوي لما يحدث لدى الذكور، حيث أنه يتولد عن تلك الخصائص الأنثوية الفريدة إدراك الفروق الجنسية، وذلك فيما يتعلق بالعلاقة بالموضوع والدفعات المستخدمة والاعتبارات الاجتماعية، إنه من المهم خلال علاقة الأنثى بأمها واكتشافها لدورها الأنثوي تحديد الدور الذي تلعبه تلك العلاقة خلال النمو، والحل الذي يؤول إليه الموقف الأوديبي، حيث أن الشق الموجب من الموقف الأوديبي يتطلب من الفتاة على أن تبقى على علاقتها بأمها ولكنه في نفس الوقت تتنافس معها".
(Deanna Holtzman and Nancy Kulish, 2000: 1473 – 1417)

مما سبق يمكن التوصل إلى الاستنتاجات التالية :-

1- إن تطور الشعور بالذات في المرحلة الفمية المتأخرة يؤدي إلى تكوين علاقة بالأم كموضوع في صورة متعددة الجوانب، فمن جانب نجد أن الذات تزداد وعياً بنفسها من حيث هي صاحبة الرغبة القائمة بالفعل والسلوك ، وهذا بدوره يكون سبب يؤدي إلى إدراك موضوع الرغبة وهو الأم.

2- خلال تدريب الطفل على عملية النظافة إذا لم تكن الأم متفهمة لعجز طفلها عن ضبط مخارجه فإن ذلك من المحتمل أن يؤدي إلى اضطرابات في الشخصية عندما يصل الطفل إلى ما بعد مرحلة البلوغ.

3- في بداية المرحلة القضيبية تتجه الفتاة ببظرها نحو الأم، والذي تعتقد أنه قضيب تريد أن تكون لها دون غيرها، إلا أنها عندما تدرك الفروق التشريحية بين الجنسين فحسبما تكون استجابتها لخصائصها يكون نمطها الأنثوي.

الأنا العليا Super ego:

لقد كان لدى **فرويد** وجهات نظر متناقضة في رؤية كل من الأنا الأعلى والأنا المثالي Ideal ego ، فمن جانب كان يعتقد أنهما بناء متكامل، ومن جانب آخر كان يعتقد أنهما متمايزان عن بعضهما البعض ، ولقد قدم لنا **فرويد** الأنا الأعلى في وصف كلاسيكي على أنه تال للمرحلة الأوديبية (وريث الأوديب) وما يصاحبها من مشاعر المخاوف تلك التي يتسببها قلق الخصاء ، هذا ولقد درست كلاين المرحلة المبكرة من تكوين الأنا الأعلى مع ملاحظة خصائص القسوة والصرامة . (Antonin Ferro, 2002: 977)

ووفقاً **لتايسون Tyson** فإن الذي يسهم في تشكيل الأنا الأعلى لدى الإناث بشكل دال هو رغبة الفتاة في إرضاء موضوع الحب المؤمثل لنفس الجنس والاحتفاظ بحبه ، إن تقدير الفتاة لذاتها يعتمد على مدى نجاحها في أن تصبح مثل الأم في المظهر الخارجي ، مما يشكل التوحد بالأم والتوحد بالأنشطة الأنثوية، إن الإناث يطورن إحساسهن بالثقة والنرجسية من خلال تقييم الدور الأنثوي، ومن ثم فإن توحد الفتاة بالأم يعد أساس الأنا المثالي، إلا أن هذا لا يعني أن الأنا المثالي يستبعد التخييلات المؤمثلة للأب والآخرين،ويشير **بيرنستون Bernstein** إلى أن الأنا الأعلى لدى الإناث يعمل على احتواء الأوامر والوصايا ، وأن الفتيات يصبحن غاضبات إذا وجدن صعوبة في أمثلة أمهاتهن. (Dianne Elise, 1997: 506)

هذا ولقد أكد أرنولد روث **Arnold Roth** على أهمية الأنا الأعلى وذلك من خلال تتبعه لنظرية **فرويد**، حيث لاحظ في تقديم فرويد لمفهوم الأنا الأعلى أنه عرض لبعض الأفكار اللاشعورية والمتمثلة في الشعور بالذنب والرغبة في العقاب، وكيف أنه من الممكن أن تفضي هذه المشاعر إلى وجود أبنية عصابية متمثلة فيما يقابل الشعور بالإثم من مشاعر.اكتئابية، كما أن الشعور بالإثم من الممكن أن يكون مؤثرا على رفض الوالدين واستنكارهم لبعض أنماط التفكير المتضمنة في مرحلة

الطفولة،هذا ولقد أشار جراي **Gray** إلى أن الأنا الأعلى دفاع نشط يهتم بكل من الإباحة والتحريم ، هذا و لقد تناول **برينر Brinier** مفهوم الأنا الأعلى بشكل تقليدي وذلك من خلال الحل الوسط الذي سوف يكون عليه الموقف الأوديبي، وذلك من خلال وبواسطة توحد الطفل بالقوانين الأخلاقية الوالدية وكنتيجة مترتبة على مثل هذا التوحد تصبح هذه الأخلاقيات جزءا لا يتجزأ من شخصية الفرد، إن مثل هذه القوة الداخلية من الممكن أن تفضي إلى الشعور بالإثم والعقاب الذاتي وذلك نتيجة للخوف من استنكار الوالدين ورفضهم لبعض أنماط التفكير المتضمنة في مرحلة الطفولة ومن ثم ثأرهم وانتقامهم، ولقد أكد **برينير** على أن تخييلات العقاب الذاتي والسلوك المدمر للذات والشعور بالإثم ليست بالظواهر البسيطة الناجمة عن نشاط قوى خاصة، ولكن على الأحرى يمكن اعتبارها حلا وسطا تشكل كنتيجة مترتبة على الصراعات التي أدت إلى ظهور مشاعر البغضاء والكراهية المرتبطة بالرغبات الجنسية والعدوانية في الطفولة الباكرة،هذا ويؤكد **هولمز Holmes** على أنه عندما يصبح الشعور بالإثم غير محتمل فإن ذلك يدفع بعض المرضى للبحث عن أساليب وقائية تتمثل في :

للبحث عن الاستحسان الرقيق والحنون أو عن اللوم والتحريم، أو أنه يلجأ في أحيان أخرى إلى استخدام أساليب مازوخية Masochism ،ويعتبر ذلك عوضاً عن الوظائف الفعلية للأنا الأعلى ، وفضلاً عن ذلك فإنه من خلال تحليل الجوانب الأخلاقية والسلوكيات المعاقبة للذات ، فقد اتضح أن ذلك يعد حلا وسطا ينشأ من الصراعات، ومن ثم يمكن اعتبار أن الرغبة الفجة في العقاب تكشف عن أنا أعلى قاسي0 (Arnold Roth, 1998: 885 – 888)

هذا ويتفق جراي **Gray** مع برينر وذلك فيما يتعلق بان الأنا الأعلى يعد حلا وسطا، والذي يتحول من خلاله أنا الطفل الفج غير الناضج إلى دفاع داخلي

يتم من خلاله التخفف من حدة صراع الدفعات العدوانية، حيث أن تشكيل الأنا الأعلى يعتمد في المقام الاول كما يرى جراي على الاستجابة الدفاعية للأنا ego حيال الرغبات والدوافع الغريزية .

(Lameence N. Lerenson, 1998: 848 – 851)

إن الانا العليا تدخل بعض التعقيد على الصورة ، فالصراع الأنا ضد الهي يمكن صياغتة بصورة أدق في بعض الأعصبة الأنا + الأنا العليا ضد الهي ، و في أعصبة أخرى : الأنا ضد الهي + الأنا العليا ، فالأنا العليا متى قامت تصبح مسئولة إلى حد كبير عن تقرير أية الإفراغات مباحة وأيتها محرمة، إن الأنا الطاردة تعمل تحت إمرة الأنا العليا، وفي كل حالة لا يكون الباعث على الدفاع مجرد القلق البسيط بل مشاعر الإثم ، و تصدق الصيغة الأنا + الأنا العليا ضد الهي، ومن ناحية أخرى نجد في عدد كبير من الأعصبة أن الأنا تدافع عن نفسها ضد مشاعر الإثم، فكل ميكانيزمات(طرق) الدفاع التي تستخدم في العادة ضد الغرائز يمكن أيضا ان توجه ضد مضادات الغرائز التي تتولد في الأنا العليا ، و مشاعرالإثم المطرودة يكمن بدورها أن تنفذ من خلال الدفاعات في صورة محرفة شأنها في ذلك شأن الغرائز . (اتوفينخيل جـ 2 ، 2006 : 34)

والمأثور أن الأنا الأعلى تعديل للأنا باعتناق أساليب الكبت التي يمر بهاالفرد أثناء تطوره ويبتدى نشاطه في حالة الصراع مع الأنا بإنماء انفعالات تتعلق بالوجدان الخلقي ولاسيما وجدان الإثم، وبعض المواقف التي توجد في حالات السواء مثل ملاحظة الذات وانتقاد الذات والتحريم وتأخذ في بعض الأمراض العصابية (الوسواس القهري) صورة تبلغ من الخطورة بحيث أن قلق الضمير يجعل الحياة لا تطاق ، ويتكون الأنا الأعلى بتقمص الطفل للصورة المثالية للأب، وفي الحالات السوية يكون الأب المتقمص هو الأب المماثل جنسياً. وإذا لم يكتمل نمو الأنا الأعلى اكتمال صحيح ، فإنه يحتفظ بتركيب مشوهة يتسم بمنطق فج ، فنرى الأنا الأعلى يعامل الأنا مثلما يعامل الأب القاسي ابنه .

(دانييل لاجاش ، 1975 : 63 – 64)

مما سبق يتبين ان تطور الأنا الأعلى يمر بأربع مراحل :-

1- الشعور باللاذة (التخلي عن اللذة من أجل إرضاء الوالدين).

2- الإقلاع عن تحقيق الرغبة والطواعية لما يطلبه الوالدين من الطفل حتى يحتفظ بحبهما.

3- الاستدخال لما يرفضه الآباء وذلك من خلال التوحد ببعض ما يطلبه الأب إبان مرحلة ما قبل الأوديب.

4- الضمير الداخلي والقبول الداخلي لأنواع الخطر والعقوبات التي يفرضها الوالدان والبيئة في مجموعها، وذلك لضمان علاقة اجتماعية داخل فئة معينة أو مجموعة أو وسط بعينه. (نيفين زيور ، رشاد كفافي ، 1985 : 7)

ومن أهم التفسيرات التي قدمها فرويد للسلوك الإجرامي تتمثل في أن المجرم يعاني من حاجة ملحة للعقاب لكي يتخلص من مشاعر الذنب التي نشأت من المشاعر المدمرة للمرحلة الأوديبية أثناء الطفولة ، فالجرائم ترتكب من أجل نيل العقاب الذي يجعل المجرم قادرا على التخلص من مشاعر الذنب التي عانى منها فترات طويلة، وهكذا يتجه الفرد إلى ارتكاب الجريمة لكي ينال العقاب المقرر له بالقانون ، وهذا هو كل ما يصبوا إليه المجرم وينشده إذ هو يسعى إلى عقاب نفسه وإيلامها ليخفف عنها وطأة عقدة الذنب التي تلازمه، والتي لم يجد لها وسيلة أخرى لحلها إلا السلوك الإجرامي. (محمد شحاته ربيع و أخرون ، 1994 : 113)

هذا ونستطيع ان نجمل خصائص الانحراف لدى فرويد في عدة أبعاد رئيسية هي :

- إخفاق تسوية الموقف الاوديبي و طغيان حصر الخصاء .
- إنعدام الكبت (كما عليه الحال في الذهان و ذلك عكس العصاب).
- وجود إنشطار في الأنا الأعلى يجعلها قادرة في الوقت نفسه على ممارسة رقابة صارمة ملائمة لعدة من الغرائز عدا ما انحراف عن معيار السواء، و لا يتحدث

فرويد عن التثبيت سوى في حالات استمرارية و تواتر السلوك المنحرف ،كما أنه لا يحدث عن وجود نكوص سوى حينما يتسبب السلوك المنحرف في إحداث شرخ فى السلوك العام للشخص المنحرف بالمقارنة بالسلوك الجنسي السوي ذى الطـــابع المتوائم لما سبق . (أمل هاشيت ، 2007 : 322)

مما سبق يمكن للباحثة التوصل إلى الاستنتاج التالى :

يمثل الأنا الأعلى قطاع الضوابط والتحريم ؛ ولكن ماذا لو لم يدرك الطفل عند نهاية الأوديب استحالة أخذه مكان الوالد من نفس الجنس ؟ ، وبالتالي فإن تعلقه بوالده من الجنس المغاير لم يفرغ من طابعه الجنسي ، فينشأ الأنا المثـــالي بعيـــداً تماماً عن الواقع، وتتحول المثاليات إلى أهداف يصعب تحقيقها، والتي قد يكون لها طابع جنسى وعدوانى، وفي هذه الحالة يقف الأنا الأعلى عاجزا غير قـــادر علـــى فعل أى شئ ، لقد أصبح يتمتع بمنطق يتسم بالفجاجة والقصور ، وفى أحيان أخرى يصبح الشعور بالإثم غير محتمل مما يجعل الفرد ميالا بـــشكل مـــستمر للإنتقـــاد والعقاب، الأمر الذي ينجم عنه أنا أعلى قاسي عديم الشفقة.

<u>3- التفسير الاجتماعي :</u>

يرى كثير من الباحثين أن العوامل الاجتماعية لها أكبر الأثـــر فـــي تهيئـــة الظروف التي تدفع بالأنثى إلى احتراف البغاء، وتنحصر أهم العوامل الاجتماعيـــة فيما يلي :-

1- تفكك الأسرة وضعف الرقابة على صغارها.

2- سوء التنشئة الاجتماعية.

3- فساد البيئة الاجتماعية المباشرة كالحي الجيران.

4-اختلاط المعايير والقيم السائدة وفسادها.

5- الغواية المقصودة لإيجاد مورد مستديم لإشباع الطلب القائم من قبل الذكور على البغايا . (سامية الساعاتي ، 2005 : 222 – 223)

هذا وقد أوضحت **مابل أليوت** أن للأسرة تأثيرا على حياة أبناءها، وقد ثبت من خلال العديد من الدراسات أن مرتكبي الجرائم ما هم إلا نتاج فكـرى للتفكـك الأسري والانحلال الخلقي للوالدين وعدم قدرتهما على تحقيق توافق مُـرضٍ مـع القواعد والقوانين التي يفرضها المجتمع ، ويرى كل من **سـعد المغربـي وأحمـد الليثي** أن التفكك العائلي يدفع الفرد إلى طريق الجريمة ، وهذا التفكك من وجهـة نظرهما يرجع إلى أسباب شتى منها الوضع الاقتصادي السيىء للأسرة وما يؤدي إليه من عدم الشعور بالأمن ، وتعرض أفرادها لمختلف الخبرات والتجارب القاسية المؤلمة ، كذلك موت أحد الوالدين أو كليهما أو إنفصالهما بالهجر أو الطلاق ، وما ينتج عنه من ابتعاد الطفل كلياً عن أسرته لدى بعـض الأقـارب أو فـي بعـض المؤسسات، وأيضاً إهمال الطفل والتحلل من المسئولية وأساليب التربية الخاطئـة والتي تتسم بالقسوة الزائدة أو اللين أو التأرجح بينهما. (نجية إسحق، 1988 : 48)

والأسرة التي يعيش جميع أفرادها على اختلاف أعمارهم ذكورا وإناثا في حجرة واحدة ، هذه الأسر لا تستطيع أن تحتفظ في معاملاتها بالحد الأدنى اللائـق من السلوك الأخلاقي، وهنا تتعرض أطفالها للإطلاع المبكر على العلاقات الجنسية ، فتشغل أذهانهم بها دون فهم موضوعي لحقيقتها، بل وينزلقون إلـى الممارسـة المبكرة لألوان مختلفة من النشاط الجنسي كالاستمناء والممارسة مع المحارم، فضلاً عن تخيلاتهم العقلية التي تساعد على وقوعهم في مشاكل واضـطرابات جنـسية ونفسية تؤثر على سلوكهم العام فيما بعد. (سعد المغربي ، 1960 : 144)

وتكاد تتفق الآراء السوسيولوجية المعاصرة على أن احتراف البغاء يرتبط بالعوامل التالية :-

1- وجود مرحلة مباشرة سابقة على الاحتراف تعاني فيها الفتاة من الوحدة والعزلة الاجتماعية.

2- تأثيرات البيئة والأصدقاء ومن هؤلاء الصديقات بغايا يغرين الفتاة الجديدة على أن البغاء حرفة مقبولة.

3- تأثير الظروف الاقتصادية مثل مواجهة مواقف للحاجة المادية أو تصور احتراف البغاء على أنه لزيادة الدخل.

4- تأثير الأصول الأسرية التي تفتقر العلاقات بين أفرادها إلى الألفة والحب والعلاقات الحميمة حيث تتعرض الفتاة في طفولتها لخبرات جنسية.

5- الخواص الشخصية كالمزاج وتصور الذات. (محمد عارف ، 1986 : 47)

ومن ثم فإنه إذا تواجد الشخص في محيط إجتماعي فاسد، وتعرض لتربية وإعداد غير سليمين ، وتفكك أسرى وضعف الرقابة على الصغار، وإنحطاط القيم والمعايير الاخلاقية فإن ذلك سوف يؤدي إلى وجود خلل في البناء النفسي، واضطراب في الشخصية ،مما يؤدي بشكل أو بأخر إلى إحتراف البغاء ، أو أى شكل أخر من اشكال السلوك الجانح أو الإجرامي، أو السلوك المضاد للمجتمع وذلك كرد فعل لمثل هذة الظروف التي عاصرها في مراحل سابقة 0

ثانيا : التطور التاريخي للبغاء :-

" يدل تتبع الأصول الأولى للسلوك الجنسي للإنسان على أن انقلابات حادة قد طرأت عليه ، بالإضافة إلى تحريفات مختلفة وتعميمات عديدة قد جدت عليه ، فرغم اختلاف الآراء حول الإباحة الجنسية في العصور الأولى من المدنية ، فإن الرأي يميل إلى أن النشاط الجنسي للإنسان لم يكن في فجر إنسانيته على هذا القدر من الصرامة ، ولا هذا المستوى من التنظيم، ولا هذا الشكل من الدقة ، لقد احتاج الإنسان إلى عدة آلاف من السنين لينتقل من حيوانيته إلى بشريته ، ومن وحشيته إلى إنسانيته ، وصاحب انتقاله هذا ارتقاء في نشاطه الجنسي أو إذا أردنا الحيدة ، تغيير في سلوكه الجنسي ، ويدخل الإنسان عصر تطوره الثاني- عصر البربرية -

وقد حدث تطور مهم في حياته الجنسية ، ألا وهو تكوين أول شكل من أشكال العائلة ، وتطبيق أول مبادئ تحديد العلاقات الجنسية.

ولقد ارتبط ظهور التكوينات الاجتماعية البشرية الأولى، وظهور الدين كإحدى قوى الضبط الاجتماعي، وكإحدى نتائج الضبط الاجتماعي أيضاً ، ففي العصر الحجري الحديث (النيولتيي) وجد نظامان اجتماعيان أساسيان هما النظام الأمومي وكان يشيع في المناطق الصالحة للإنتاج الزراعي البدائي، والنظام الأبوي وكان يشيع في مناطق الرعي.

وامتزج النظامان لظروف طبيعية مرت بالأرض في تلك الفترة أدت إلى هجرات جماعية كبيرة، وبذا ظهر أول نوع من التقديس للمرأة الإلهه، والرجل الإله، وقولم هذه الديانات هو عملية الإخصاب وما ارتبط بها من معتقدات خرافية جعلتها منحة من الإله للمرأة للخصبة، وبتطور هذه المعتقدات أصبح فض البكارة احتفالا مقدسا تمنح الفتاة فيه نفسها لمن منحه الإله قوة الإخصاب وقدسية الجنس، ولم تكن تحصل الفتاه على اكتمال أنوثتها إلا بمنحها نفسها لمثل هذا الشخص فيحق لها بعد ذلك الزواج.

وقد تطورت طقوس إزالة البكارة عبر الأجيال الأولى ، فتتناقص قدر الأهمية المقدرة للشخص المقدس (الكاهن)، لتزيد أهمية المكان المقدس الذي تزال فيه البكارة (المعبد) ، وبهذا التحول بدأ النشاط الجنسي يأخذ شكلا جديدا ليتحول جانب من النشاط الجنسي ليصبح فعلاً مقدساً وبذرة لأول أشكال البغاء.

فقد أدى تراجع احتفال إزالة البكارة إلى احتجاب العذارى في المعابد لممارسة البغاء في إطار من القدسية، كجزء من تأهيلهم للزواج،وفي خلال فترة احتجاب المراهقات في المعابد كانت وظيفتهن الترفيه عن الكهنة من جانب،

ومضاجعة الحجاج من جانب آخر، وذلك نظير أجر يكون حقاً لخزانة المعبد ، وكانت النظرة لهذه الخادمات محاطة باحترام البغايا المقدسات".

(أحمد فائق ، 2001 : 365 – 367)

" وفي الثقافة اليونانية القديمة كان الجماع Copulation يتم في أماكن العبادات ، والتي كانت تلقي كثير من الاحترام والتقدير، إلا أنه في مثل هذه المجتمعات كان ينظر للبغاء على أنه جزء جوهري من عبادات الآلهة، وكان ذلك يعد تعبير قوي عن اتحاد كل من الجنس والدين، وقد امتد مثل هذا الموضوع إلى أماكن آسيا ، غرب أفريقيا ، جنوب الهند.

وقد كان هناك نوعين من البغاء المقدس أو البغاء الكنسي إن جاز التعبير:

1- النوع الأول: كن النساء يمارسن البغاء كفعل أساسي ، ثم يتزوجن بعد ذلك بالشكل المألوف المعتاد.

2- النوع الثاني: عندما تكرس النساء للخدمة في الكنائس والمعابد كبغي مقدس.

ولقد كان لدى البابليون عادات مخزية إلى حد ما ، فعندما تولد المرأة وتبلغ تذهب إلى فينوس إله الحب وتجلس في الفناء، وتعاشر الغرباء ، وبعض الأغنياء، الموسرين الذين كانوا يأبون أن يعاشروا الآخرين أو يمتزجوا معهم، فكانوا يذهبون للفناء ويتدربون من خلال المشاهدة والحضور، وبعد ذلك يأخذون موضعهم ، إلا أن مجموعة كبيرة منهم كانوا يعاملون هؤلاء الفتيات معاملة القديسين، حيث أنهن كانوا يضعن على صدورهن إكليلاً من الزهور، ولقد كان هناك حشد كبير مجموعة تذهب، ومجموعة تأتي.

لقد كانت النساء تمرعلى هؤلاء الرجال ليختاروا من بينهن ، ولم يكن يُسمح للمرأة التي تذهب مع ذلك الرجل أن تعود إلى منزلها إلى أن يرمي عليها ذلك الرجل الغريب قطعة من النقود الفضية، ثم يصطحبها معه إلى وراء الأراضي المقدسة لدى **ميليتا** Mellette، ولا يمكن أن تُرفض هذه العملة الفضية حيث أنها

كانت تعد مثل هذه الرمية مقدسة ، وكانت النساء اللاتي يتمتعن بالجمال يعدن إلى متازلهن بسرعة ، أما النساء الأخريات القبيحات فكن يمكثن فترة طويلة ما بين 3 إلى 4 سنوات حتى يفين بالحقوق المطلوبة منهن في المعابد.

وفي شعوب أمريكا القديمة فقد ظهر للعيان نطاق من عهد البغاء قبل الزواج، أما عن الشعائر والطقوس المتعلقة بذلك الموضوع في فارس، فقد كان الأرمـانين يلقونها بمزيد من الفخر ، حيث أن الكنائس كانت تخصص خدماتها للرقيـق مـن الإناث والذكور ، ولم يكن ذلك بالشئ الجديد ولكن الشئ الجديد هو أن أكثر رجال القبلية شهرة كانوا يكرسوا بناتهن للعمل في الكنيسة وهن عـذارى، وقـد جـرى العرف أن تصبح بغيا للكنيسة لفترة طويلة، وبعد ذلك تُقدم للزواج، ولم يكن أحـد يزدري أن يعيش مع مثل هذه المرأة كزوجة.

وقد أعطيت تفسيرات متعددة للبغاء الـديني المقـدس ومـن أهـم هـذه التفسيرات، إن النساء اللاتي يقدمن عذريتهن كقربان إنما تحاكي به سلوك الآلهة ، هذا بالإضافة إلى أنهن كن يمارسن الطقوس التي يحاولن من خلالها أن يثبـتن أن الأرض لا تزال مثمرة وأن الأرحام لا تزال مثمرة".
(Fernand Henr iques, Without Year: 21 – 28)

" ومن ثم يمكن التوصل إلى نتيجة مؤداها وهي: أن اصطلاح البغاء المقدس لم يعد بالاصطلاح الملائم، فقد أشار التاريخ السابق إلى ظهور الإسرائيليون كأناس مستقلين، وقد كانت هناك موافقة بسيطة على مثل هذا الموضوع طبيعة ونشوء.

وقد قدم ريتشارد لونيسون **Richard Lowenson** وجهة نظرة عن هـذا الموضوع، فقد أشار إلى أن مثل هذا الموضوع قد نشأ نتيجة لحاجة الذكور لأرض حرة ، يستطيعون أن يشبعوا رغبتهم الجنسية فيها دونما الالتزام بحقوق وواجبات ، والحقيقة إن البغايا كن يعملن في خدمة الإلهة، وقد اعتبروا نتيجـة لهـذه الفعلـة مقدسات دينياً.

هذا وقد قدم لنا هاري بنجامين **Benjamin Harry** كتابة عن البغاء والفضيلة، ويعد مثل هذا الكتاب واحد من أفضل الكتب في هذا الموضوع،هذا وقد أشار جولدن بيرج **Golden Berg** إلى أن هناك دافعية لتحديد عما إذا كان الفعل بغائي أم لا ؟ ، ومن ثم فإن مثل ذلك الموضوع يستحق اهتمام وعناية جادين، إن مثل هذه المسألة تهدف لحسم وتحديد الجنس الاسمي الممتاز،إن البغاء كما يعرفه الغرب الآن لا يوجد فحسب نتيجة للحاجة إليه، ولكن كذلك لنمو وازدهار الحياة.

وقد أشار فرازر**Frazer** في كتابة الغصن الذهبي إلى إن النساء في العهد القديم كن يُكرهن على تسليم أنفسهن للغرباء وذلك قبل الزواج، ولم يكن ينظر إلى ذلك على أنه شهوة ولهو وعربدة، ولكن كان ينظر إليه على أنه مهمة دينية مقدسة تنجز من خلال الخدمة المقدمة للإلهة الأم المقدسة، وكان ذلك يتحقق في غرب آسيا". (Martin Sey Mouk, 1969: 6 – 8)

" ولم تكن مصر القديمة بمنأى عن هذا البغاء المقدس الذي عم حضارات العالم ، وقد ظل بها حتى عهد الرومان حيث كانت المعابد تشتمل على نساء يمارسن الدعارة. وكان هذا مورد رسمياً معترف به".

(نجية إسحق ، 1984 : 45)

" وظلت منازل البغايا تؤدي وظيفتها الهامة للمجتمع في العصور الوسطى ، وفي بداية انتشار المسيحية في أوروبا كان هناك بقايا صلة دينية بين البغاء والكنيسة، وظل البغاء طوال فترة العصور الوسطى جزءا من الحياة الاجتماعية، وفي سنة 1414حين جاء الإمبراطور **سيجموند بجيشه** في زيارة ليبرن بسويسرا فتحت أبواب منازل البغايا على مصراعيها له ولجنوده كنوع من الحفاوة ، وقد وقف الإمبراطور في حفل عام شكر أصحاب السلطة في بيرن على حسن ضيافتهم، وفي القرن الثامن عشر حين عرف ذلك النظام المسمى الآن بالبوليس ، بدأت منازل البغايا (كتطور طبيعي) تخضع لنظام البوليس ، ثم خضعت للقوانين

التي كانت تضعها المجتمعات المختلفة لتنظيم البغاء والإشراف عليه طبياً (حتى لا تنتقل الأمراض التناسلية إلى الرجال)، وأيضاً من أجل تحصيل ضرائب تأخذها الحكومة من البغايا.

وحينما اشتد خطر البغاء ، بسبب انتشار الأمراض التناسلية ، وبسبب ازدياد البغايا واضطراد تزايد أعدادهن ، وأصبحن يمثلن مشكلة اجتماعية واقتصادية وطبية ، مما اضطر بعض المجتمعات في أماكن مختلفة من العالم إلى إصدار قوانين بمنع البغاء تماماً، ولكن هذا المنع لم يحدث إلا على الورق فقط وظل البغاء يمارس كما كان ولكن في الخفاء". (نوال السعداوي ، 1990 : 290)

مما سبق يمكن التوصل إلى استنتاج مؤداه : وهو ارتباط البغاء بظهور التكوينات الاجتماعية البشرية الأولى وظهور الدين كإحدى قوى الضبط الاجتماعية ، حيث أن البغاء عند نشأته كان مقدسا ، ثم تحول بعد ذلك إلى ظاهرة اجتماعية جلت فيها الرغبة المطلقة في قضاء الشهوات محل العقيدة، وأصبح البغاء مطلوبا لذاته ، ولم يعد البغاء المقدس بالاصطلاح الملائم ، وأصبح البغاء يمثل مشكلة نفسية ، اجتماعية ، اقتصادية يقتضي علينا دراستها.

ثالثا : تطور الهوية الجنسية لدى الأنثى :-

" فيما مضى كان يعتقد أن الهوية الجنسية sexual identity تبدأ في الظهور في المرحلة القضيبية، أما الآن فلقد أصبح التفكير السائد أن الهوية الجنسية تتطور ابتداء من المرحلة الفمية، ويعتمد ذلك بشكل أو بأخر على العلاقة المبكرة فيما بين الأم وطفلها وأنماط التفاعلات القائمة بينهما ، وقد أشار كل من ماير **Mayer 1985** أوليسكر **Olesker 1998** وبيرنستين **Pernsten 1990** ، إلى أن خبرة الجسد ووظائفه يفضي أولاً إلى الأنا الجسدي body ego، ثم إلى الهوية الجنسية، والذي يعتبر مجال اهتمام الفكر التحليلي، ومن ثم يمكننا التوصل إلى استنتاج مؤداه أن الأنا الجسدي body ego يمكن أن يسهم بشكل أو بأخر في نمو

الهوية الجنسية لدى الأنثى، وتقليدياً فقد كان نمو الأنا الجسدي والهوية الجنسية يرتبط بشكل أساسي بالخبرات البصرية وما يترتب عليها من نتائج متمثلة في التخييل عندما يلاحظ الإناث والذكور وجود فروق تشريحية بين الجنسين،إلا أن الأنا الجسدي والهوية الجنسية لا يعتمدان بشكل مطلق على الدلائل المرئية فقط ولكن كذلك على خبرة ونشاط الجسد ذاته، الأمر الذي يقودنا إلى اصطلاح آخر وهو الأنوثة الأولية Primary femininity، هذا ويعرف **تايسون Tyson** الأنوثة الأولية على أنها توظيف النرجسية في الذات كأنثى.

إن الأنوثة الأولية تنشأ في لحظة مبكرة من المرحلة الفمية ولكي تصل كل أنثى إلى هذه المرحلة (الأنوثة الأولية) عليها أن تدرك أنها ليست كباقي الذكور وذلك فيما يتعلق بالطبيعة الجنسية.

دهذا وقد أكدت الدراسات الحديثة التي اهتمت بتتبع تطور الهوية الجنسية لدى الأنثى على ثلاثة عوامل أساسية :-

1- عمليات التوحد والعلاقات المبكرة بالموضوع.

2- الطريقة والتوقيت التي ينشأ من خلالها الأنا الأعلى وتطور وظائفه والذي يرتبط على وجه الخصوص بنشأة الأنا المثالي لدى بعض الإناث.

3- التمثلات العقلية لمعرفة وظائف وبناء الجسد.

هذا وقد أوضح **روليش** Rulish في مقاله عن التمثلات الذهنية Mental representation للبظر clitoris ، كيف أن مثل هذه التمثلات من الممكن أن تتحقق من خلال تأثير الإحساسات الجسدية من خلال نشاط الطفل في الحمام والاستمناء،هذا بالإضافة إلى أنه تطرق إلى مناقشة الأحاسيس البظرية في مقابل الأحاسيس المهبلية ، ويعتقد العديد من الباحثين بوجود وعي لدى الإناث في هذه المرحلة بالمهبل ،الأمر الذي يعد عديم الأهمية لدى بعض الفتيات أن يتمثلن بشئ من الخواء الداخلي". (Richard Lasky, 2000: 1381 – 1383)

" ففي هذا التمثل للنقص ثمة شئ ما لا يطاق ، وتتجه الفتاة نحو أبيها غير أنه سيكون عليها فيما بعد أن تتخلى عن القضيب المشتهى لأبيها ، وهذا التخلي الجديد يصعب تحمله دون محاولة التعويض لأنه في اللحظة التي تدخل فيها البنت المرحلة الأوديبية تشرع في اشتهاء ولد من الأب ، إذ ينزلق ليبيدو البنت الصغيرة على هذا النحو نحو معادلة رمزية (قضيب = ولد) وهكذا فإن الرغبة بولد من الأب تغدو بديل عن الفالوس الناقص ، ولكن لما كانت هذه الرغبة غير محققة فإن البنت تضع أقدامها على طريق الأنوثة، ويميل نشاطها إلى التراجع0

وهكذا فإن تطور الأنوثة لدى البنت في إطار النظرية الفرويدية يغدو الآن ممهداً دون أن تعيقه بقايا الرابط ما قبل الأوديبي بالأم والذي تم إخضاعه،والذى بوسعنا أن نتخيلها على هذا النحو :

قد استقر بها المقام مكدوره من الرحيل مستنفذة من القطيعة التي تتلوها كل مرة قطيعة ، يحرض النقص فيها فكرة الشغل اليدوي، وسرعان ما تكتشف الحياكة، وها هي زي تحوك الغزل ثم تفكها ثم تحوكها من جديد منتظرة بصبر فارغ عودة الغائب، ولكن هل انتهى طوافها أخيراً ، هل حطت رحالها واستقر مقامها". (حورية عبد الواحد ، 2006 : 84 – 85)

" هذا وقد أشار بارنيت Barrent إلى أنه ليعد أمر عديم الأهمية لدى بعض الفتيات أن تتمثل بالمهبل ، حيث أنه يعد أمرا عديم الفائدة أن تتمثل بفتحه، أو إن جاز التعبير خواء داخلي، الأمر الذي دفعه إلى الإشارة إلى احتمالية وجود حصر الخصاء.

هذا ولقد لاحظ ماير وجود أفكار مقلقة ومزعجة لدى بعض الفتيات ، وذلك إبان المرحلة الأوديبية تتمثل في حصر الخصاء :

إن مثل هذه الفتحة تعرضها للخطر والفقدان ، وهي تتمنى أن تغلق هذه الفتحة وتصبح لدى الذكور.

وبالمثل فإن بعض الذكور من الممكن أن ينظروا إلى الأعضاء التناسلية الأنثوية بنوع من الاشمئزاز والكره والفزع، مما يشعرهم بأن هذا الفقدان لدى الأنثى قد تحقق بعد الحضور ، الأمر الذي يجعل الذكر يعطي قيمة هائلة لأعضائه التناسلية.

لقد استخدم ماير **Mayer** والعديد من المحللين الذين تطرقوا لمثل هذا الموضوع اصطلاح للإشارة إلى إحساس عام لا يتعلق بنوع خاص من التهديدات للأعضاء الجنسية التناسلية سواء لدى الأنثى أو الذكر ، ومن ثم فإنه من الممكن أن يحل اصطلاح القلق التناسلي Genital Anxiety محل ذلك الاصطلاح:

إن الوعي المبكر بالأعضاء التناسلية يتسم بأن عملية التمييز وإدراك الفروق تمت على نحو هزيل.

ومن ثم فإن الجوانب التشريحية لا تسمح للفتاة بتحقيق الفهم الكامل وذلك فيما يتعلق بـ :

الخصائص المميزة لعضوها التناسلي ، والوظائف التي يقوم بها إلا أن التفاعل فيما بين الإدراك والإحساس ، وذلك مع نمو وتطور الأنا الجسدي الذى من الممكن أن يكون عامل جوهري في تشكيل صورة الجسم body image ، وكذلك الهوية الجنسية الأنثوية المبكرة ، إلا أن علاقة الفتاة بوالديها تتدخل لمساعدة الفتاة على التعامل مع هذه الخبرة، ولكن فشل الفتاة في مثل هذا الإطار (العلاقة بالوالدين ومن ثم الخبرة) من الممكن أن يشوه ليس فقط صورة الجسم Body Image ولكن كذلك الهوية الجنسية" .

(Richard Lasky, 1384 – 1386: 2000)

" ومن ثم فإن **اليزابيث لويد ماير Elizabeth Lioyed Mayer** تعتبر أن هناك عاملين أساسيين يساهمان في تشكيل الهوية الجنسية لدى الإناث.

أولاً: حصر الخصاء **ثانياً: الأنوثة الأولية**

حيث أن كل عامل يتضمن مظاهر هامة لتطور الفتاة كي تصبح امرأة ، هذا وتشير وجهة النظر الفرويدية إلى أن الإناث في بادئ الأمر يكن ذكورا من الناحية

النفسية إن جاز التعبير ، وقد جرى العرف أنه عندما تصبح لدى الفتاة ردود فعل معقدة.لكي لا تصبح ذكرا ، فإنها تكافح من أجل معرفة ما تمتلكه وما تفتقده ، ويعد ذلك هو بداية الطريق لظهور الأنوثة الأولية، حيث أن الفتاة تدرك أن هناك شئ مميز تفتقده ، وكذلك شئ ما يقع في حوزتها.

ومن ثم يمكننا القول بأن الأنوثة الأولية تعتمد على علاقة الفتاة بجسدها الفعلي وليس فقط ما تفتقده في ذلك الجسد".
(Elizabeth Lioyed Mayer, 17 – 25: 1995)

" إن الاهتمام بتحليل السنوات الستة الأولى لدى الإناث والتي تكون لها أكبر الأثر في اضطرابات الهوية الجنسية لديهن أظهرت أهمية العلاقة بالوالدين وخاصة العلاقة بالأم في مرحلة الطفولة والاتجاهات والرغبات المتجه نحو الجنس من حيث التذكير والتأنيث". (Karen Gilmore, 39 – 40: 1995)

" إن الاهتمام بالنمو النفسي الجنسي لدى الإناث يبدأ عندما يتحدث فرويد عن تطور الليبيدو لدى كل من الجنسين ومسار تطور العقدة الأوديبية، إن توحد الفتاة بالأم الكاملة غير المجزأة يتحقق عندما تمتلك الفتاة القدرة على التمييز بين الذات والموضوع أو ما بين مرتبة النرجسية ومريته عشق الغير، إن توحد الفتاة الجنسي بأمها كموضوع أولى، وذلك إبان نهاية المرحلة الأوديبية يسهم في تطور الأنوثة الأولية.

<u>بمعنى أخر :-</u>

إن تقدير الفتاة لذاتها يعتمد على نجاحه في أن تصبح مثل الأم في المظهر الخارجي، مما يشكل التوحد بالأم ويشكل أيضاً المشاركة في الأنشطة الأنثوية ، إلى هذا الحد فإن الإناث يطورن إحساسهن بالثقة والنرجسية وذلك عند تقييم الدور الأنثوي". (Dianne Elise, PH.D., 513: 1997)